المحاضرة الخامسة:

أدب الأطفال في الجزائر.

I. أدب الطّفل في الجزائر قبل الاستقلال.

II. أدب الطّفل في الجزائر بعد الاستقلال.

III. تصنيع كتاب الطّفل في الجزائر.

I. أدب الطّفل في الجزائر قبل الاستقلال.

رغم حالة الحصار والاستعمار التّي كانت تعيشها الجزائر فقد اهتمت بأدب الأطفال منذ الثلاثينيات من القرن العشرين، وتأثر هذا الأدب بالثقافتين الغربية والعربية على حد سواء، ويمكن القول أنّ ملامحه الجنينية قد تبلورت في مدارس جمعية العلماء المسلمين، حيث ظهر الإبداع في أدب الأطفال في شكل قصائد وأناشيد ومسرحيات توجه بها المبدعون إلى جيل المستقبل، ومنهم الشّيخ، عبد الحميد بن باديس، في نشيده المشهور: "**شعب الجزائر مسلم**"، الّذي قال فيه:

يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصّباح قـد اقترب
خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

وقد يكون الشّيخ (المولود بن الموهوب) رائدا لشعر الأطفال في الجزائر، حيث أورد له صاحب كتاب (**شعراء الجزائر في العصر الحاضر**) نشيدا توجّه به إلى الصّغار يحثهم فيه على الجد في طلب العلم والأدب، فقال:

العلم يحيي بالعمل وقاتل المرء الكسل
فسافروا نحو الأمل وحاربوا كل بليـــد

***

يا أيّها الأبناء الصّغار أنتم نعم الثّمـــــار
جدّوا لتدركوا الفخار فعاشق العمل سعيـد

***

وعمروا المدارســـا وجانـبوا الأبالســا
وزيّنوا المجالســـا بالعلم واطلبوا المزيد

***

ســيروا كغيركــم إلى نيل مناصب العلا

لا تقنطوا فـــالله لا يرد من خيرا يريـــد

***

أنتم فروع الكمال ألستم أبناء رجال

بالمال تهدم الجبال كذلك الجهل يبيد

ومن الشّعراء الّذين كتبوا للأطفال – خلال عهد الاستعمار – الأستاذ، محمد بن العابد الجلالي السماتي، الّذي شملت كتاباته الأنشودة والمسرحية معا، ومن أشهر أناشيده تلك التّي وضعها لتتغنى بها البنات في لعبة الحبل، عوضا عن الأنشودة الفرنسية (j'aime la galette)، التّي كانت شائعة بين بنات المدارس، ومطلعها:

أرينا الغزالا يجوب التّلالا

بصبر توالى لروع جـفـــل

كما كتب شعراء من أمثال: الشّيخ، محمد الهادي السّنوسي، والشّيخ الأستاذ، محمد الشّبايكي، المشهور بـ:الشّبوكي، والأستاذ، محمد الصّالح رمضان، وغيرهم... الكثير من المحفوظات، والأناشيد التي تصلح للأطفال، اتّسمت في معظمها بطابعها التّوجيهي، التّربوي.[1]

II. أدب الطّفل في الجزائر بعد الاستقلال.

بعد الاستقلال كانت الانطلاقة الفعلية لأدب الطّفل في الجزائر، وكانت مواكبة للمشاريع الثّقافية في كل الميادين على ضوء رؤية إيديولوجية اشتراكية، أين ظهر جيل آخر من الكتّاب والشّعراء أثروا أدب الطّفل بإبداعاتهم، وأسهموا في تزويد الطّفل الجزائري بالكثير من ألوان المتعة والغذاء الروحي، ومن هؤلاء الشّعراء نذكر/: الشّاعر المخضرم، محمد الأخضر السائحي،

[1] ينظر: الربعي بن سلامة، **من أدب الأطفال في العالم والوطن العربي**، ص ص: 47-49.

بمجموعته (أناشيد النّصر)، و(ديوان الأطفال)، والأستاذ، محمد ناصر، الذي كتب (البراعم النّدية)، والشّاعر، مصطفى محمد الغماري، صاحب (الفرحة الخضراء).

ومن الّذين برزوا في كتابة القصّة للأطفال، نذكر الكاتب، جيلالي خلّاص، ومن قصصه: (الدّيك المغرور)، والروائي، الطّاهر وطار (بحباح المرتاح)، والشّيخ، موسى الأحمدي نويوات، الّذي استمد معظم قصصه من التّراث الشّعبي، ومنها (بقرة اليتامى)، و(العكرك)، و(لقرع بوكريشة)، التّي صدر معظمها عن المؤسسة الوطنية للكتاب، خلال سنتي: 1984/1983م ... كما يذكرُ الشّاعر الكاتب، محمد زتيلي، بقصة (الضفدع والمطر)، وغيرهم ...

وأما ما يخصّ صحافة الطّفل بالجزائر، فقد صدرت مجموعة من الصّحف، والجرائد، والمجلات متخصصة، من أهمها (مجلة مقيدش)، التّي أصدرتها الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، عام 1969م، ومجلة (ألوان) الأسبوعية، كما خصّصت بعض الصّحف الجزائرية ملحقات لأدب الأطفال، كجريدتي: الشّعب، والمجاهد.

كما أُصدرَت جريدة (قنيفد)، سنة: 1972م، ومجلة (ابتسم)، سنة: 1977م، و(جريدتي)، سنة: 1981م، ومجلة (رياض)، سنة: 1968م، إلى جانب مجلات أخرى ك: (نونو)، و(الشّاطر).

كما نشط مسرح الأطفال بالجزائر بعد الاستقلال، وخاصة في سنوات السبعينيات، والثمانينيات، من القرن العشرين، ليعرف بعد ذلك ركودا لعدة أسباب ذاتية وموضوعية. وتمظهر مسرح الطّفل في الجزائر في: المسرح المدرسي، والمسرح التّعليمي، ومسرح الدّمى والعرائس، والمسرح الاستعراضي...

وعلى الرّغم من المجهودات التّي بذلتها الدّولة الجزائرية في مجال أدب الطّفل، من أجل السّمو بمستوى الطّفولة الجزائرية، فإن أدب الأطفال لا يزال يعاني ضعفا على مستوى الإنتاج، خاصة في سنوات الألفية الثّالثة؛ بسبب انعدام التّشجيع المادي، والمعنوي...

III. تصنيع كتاب الطّفل في الجزائر.

تُعبر المؤسسة الوطنية للنشر والتّوزيع، ودار الهدى للطّباعة والنّشر، ودار الشّهاب، من أشهر دور النّشر التي خصّت الطّفل الجزائري، والعربي عموما، بكمّ معتبر من إنتاجها، من خلال ما أنتجته من كتب أدبية، وعلمية، ودينية، وترفيهية، وغيرها. فقد أفردت المؤسسة الوطنية للنشر والتّوزيع، فرعا إداريا مستقلا، أسمته: قسم منشورات الأطفال، يهتم بنشر أدب الطّفل، ولكنّها "...**ظلّت عاجزة عن سدّ متطلّبات الطّفل، فحسب الإحصائيات أنّها لم تتعدّ عشرة عناوين في السّنة، ولم تتجاوز هذا العجز إلاّ بعد الاشتراك مع دار الكتاب المصري، التي اهتمت ببعض السّلسلات الدّينية، مثل السّيرة النّبوية لابن هشام، ثمّ أصدرت بالإضافة إلى ذلك العديد من العناوين الجديدة ابتداء من سنة واحد وثمانين، وتسعمائة وألف [1981م]، انتخبت اثنتين وثلاثين ومائة [132] عنوان قصّة، وخمسة وثلاثين [35] كراس تلوين، وأربعة عشرة [14] كراس ألعاب**"[2].

وأمّا دار الهدى المتخصّصة في الكتب الدّينية، والعلمية، فقد أولت اهتمامها بعالم الطّفولة من سنّ الحضانة، إلى سن الرّابعة عشر، فأصدرت: موسوعة الأسئلة التّعليمية (أجبني لماذا؟)، و(جسم الإنسان)، و(عالم الحيوان)، ثم أردفت بخمسين قصّة من سلسلة الأبطال، وسلسلة أبطال الرّحمان.[3]

كما راعت دار الشّهاب الخصوصية النّفسية، والدّينية (التّربوية) للطّفل فيما تقدّمه له من كتب، رغم غايتها التّجارية الواضحة، وامتازت بوفرة صناعة الكتاب كمّا، وتسويقه إلى كلّ جهات الوطن.

---

[2] عميش عبد القادر، **قصّة الطّفل في الجزائر، دراسة في المضامين، والخصائص**، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، د ط، د ت، ص: 33.

[3] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

ويبقى التّقصير قائما على توفير كتاب للطّفل متنوّعٍ، قادرٍ على تكوين وجدان الطّفل العربي المسلم في إطار الخصوصيات الحضارية للأمّة، حيث يتكامل الإبداع الأدبي (شعرا، ونثرا) في المجالات التّربوية، والمعرفية، بعناصر الإقناع الجمالية الضّرورية لجذب الطّفل، وجعله يتفاعل معها إيجابيا.